ISSN 1016 - 4030

تراثنا

نشرة فصلية تصدرها
مؤسسة آل البيت عليهم السلام لإحياء التراث

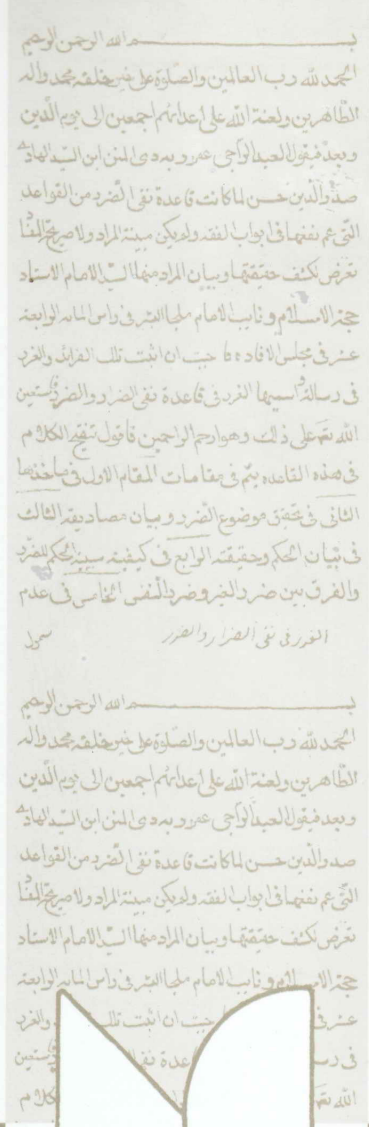

العدد الأول [١٢٩]
السنة الثالثة والثلاثون / محرّم - ربيع الأوّل ١٤٣٨ هـ

تراثنا

نشرة فصلية تصدرها مؤسّسة آل البيت عليهم السلام لإحياء التراث

* الإسهام في النشرة باب مفتوح لجميع العلماء والمحقّقين والباحثين والمعنيّين بشؤون تراث أهل البيت عليهم السلام .
* الآراء المنشورة لا تعبّر عن رأي النشرة بالضرورة .
* ترتيب المواضيع يخضع لأُمور فنّية ، وليس لأيّ أمر آخر .
* النشرة غير ملزمة بنشر كلّ ما يصل إليها ، أو بإعادته إلىٰ أصحابه .

المراسلات : تعنون باسم : هيئة التحرير .
دورشهر ـ خيابان شهيد فاطمي ـ كوچه ۹ ـ پلاك ۱ و ۳
هاتف : ۵ ـ ۷۷۳۰۰۰۱ ـ فاكس : ۷۷۳۰۰۲۰ .
البريد الألكتروني : *e-mail : turathona@rafed.net*
ص . ب . ۹۹٦ / ۳۷۱۵٦۵۳۷۷۱ ـ قم ـ الجمهورية الإسلامية في إيران .
تراثنا .
العدد : الأوّل [۱۲۹] السنة الثالثة والثلاثون / محرّم الحرام ـ ۱٤۳۸ هـ .
الإعداد والنشر : مؤسّسة آل البيت عليهم السلام لإحياء التراث .
الكمّيّة : ۲۰۰۰ نسخة .
الفلم والألواح الحسّاسة : تيزهوش ـ قم .
المطبعة : الوفاء ـ قم .
الاشتراك السنوي : ۲۰۰۰ تومان في إيران ، و ۲۵ دولاراً أمريكياً في بقيّة أنحاء العالم .

النُعمانيّ ومَصادرُ الغَيبةِ[1]

(٣)

السيّد محمّد جواد الشبيريّ الزنجانيّ

بسم الله الرحمن الرحيم

تنويه :

تعرّضنا في الفصول السابقة من هذا المقال إلىٰ بيان سيرة حياة أبي عبد الله النعماني مؤلّف كتاب **الغيبة**، والتعريف بهذا الكتاب. وفي هذا الفصل سوف نتعرّض لأزمة الإمامة في عصر الغيبة ـ والتي كانت هي الغاية الرئيسة من وراء تأليف النعماني لهذا الكتاب ـ وكذلك إجابة النعماني عن شبهة طول عمر إمام العصر والزمان (عج)، ومن ثمّ ننتقل إلىٰ دراسة ظاهرة اندثار المذاهب المنحرفة بعد عصر النعماني. وفي الختام سنبحث في لقب النعماني وبعض الأشخاص الآخرين الذين لقّبوا بهذا اللقب.

أزمة الإمامة في عصر الغيبة وظاهرة طول عمر الإمام المنتظر (عج):

لقد مثّلت غيبة إمام العصر (عج) اختباراً إلهيّاً كبيراً. فعلىٰ الرغم من

(١) تعريب: السيّد حسن علي مطر الهاشمي.

الروايات المستفيضة التي وردت في غيبة الإمام، والتمهيدات الكثيرة التي قام بها الأئمّة عليهم السلام في هذا الشأن من أجل إعداد الناس لهذه المرحلة[١]، نجد ردّة عن الحقّ من قبل الكثير من الشيعة، حيث مالوا إلىٰ التيّارات المنحرفة بمجرّد حدوث الغيبة. وعلىٰ حدّ تعبير النعماني: «فإنّنا رأينا طوائف من العصابة المنسوبة إلىٰ التشيّع، المنتمية إلىٰ نبيّها محمّد صلى الله عليه وآله ممّن يقول بالإمامة... قد تفرّقت كلمها، وتشعّبت مذاهبها... فطار بعضها علوّاً [غلوّاً]، وانخفض بعضها تقصيراً، وشكّوا جميعاً إلّا القليل في إمام زمانهم ووليّ أمرهم وحجّة ربّهم»[٢]. وقد أكّد النعماني علىٰ هذه الحقيقة مراراً، وهي أنّه لم يثبت علىٰ منظومة الإمامة والوفاء لإمامة إمام العصر (عج) من أدعياء التشيّع غير النزر اليسير[٣].

بيد أنّ النعماني لا يذكر أسماء هذه الفرق والتيارات المنحرفة بشكل صريح، وإنّما يكتفي بالإشارة إلىٰ بعضها فقط.

وفي موضع من الكتاب بعد ذكره لعدد من الروايات أضاف قائلاً: «وهذه الأحاديث دالّة علىٰ ما قد آلت إليه أحوال الطوائف المنتسبة إلىٰ التشيّع ممّن خالفوا الشرذمة المستقيمة علىٰ إمامة الخلف بن الحسن بن عليّ عليه السلام؛

---

(١) ومن جملة ما قام به الأئمّة عليهم السلام في هذا الاتّجاه، التأسيس لنظام الوكالة، والارتباط غير المباشر بين الناس والأئمّة عليهم السلام، وعدم إعطاء إجابات واضحة عن الأسئلة الدينية، وإحالة السائل إلىٰ الروايات المروية عن الأئمة السابقين مع بيان كيفية حلّ الروايات المتعارضة و....

(٢) غيبة النعماني، تحقيق: علي أكبر الغفّاري، ص٢٠ ـ ٢١.

(٣) غيبة النعماني، ص٢٦، ٢٧، ١٥٧، ١٦٩، ١٧٠، ١٨٦.

لأنّ الجمهور منهم من يقول في الخلف: أين هو؟ وأنّىٰ يكون هذا؟ وإلىٰ متىٰ يغيب؟ وكم يعيش هذا؟ وله الآن نيّفٌ وثمانون سنة! فمنهم من يذهب إلىٰ أنّه ميّت، ومنهم من ينكر ولادته، ويجحد وجوده بواحدة، ويستهزئ بالمصدّق به، ومنهم من يستبعد المدّة ويستطيل الأمد، ولا يرىٰ أنّ الله في قدرته ونافذ سلطانه وماضي أمره وتدبيره قادرٌ علىٰ أن يمدّ لوليّه في العمر كأفضل ما مدّه ويمدّه لأحدٍ من أهل عصره وغير أهل عصره، ويظهر بعد مضيّ هذه المدّة وأكثر منها»[1].

ثمّ أخذ النعماني بعد ذلك بالإجابة عن شبهة طول عمر الإمام (عج) بإجابتين. ولكنّا قبل الدخول في بيان الجواب الأوّل نسترعي انتباه القارئ إلىٰ أنّ عمر صاحب العصر والزمان (عج) عند مباشرة النعماني تأليف كتابه كان قد بلغ حدّاً تجاوز الحدّ الطبيعي لأعمار سائر الناس، ومن هنا طرحت الشبهة في عمره الشريف، ولكن حيث إنّ عمر الإمام في حينها لم يتجاوز عمر كبار المعمّرين في ذلك الوقت، كان من الطبيعي للنعماني أن يجيب في بعض جوابه من خلال التمثيل بأنّ هناك الكثير من المعاصرين له قد تجاوزت أعمارهم المئة سنة ومع ذلك يتمتّعون بقوىٰ جسدية وصحّة كاملة.

بيد أنّ هذه الإجابة إنّما كانت إجابة مرحلية؛ إذ لم يكن هناك ما يضمن ظهور الإمام الحجّة (عج) في القريب العاجل، وقد كان النعماني مدركاً بأنّ عمر الإمام سيتجاوز الأعمار الطبيعية، من هنا فإنّه يجيب عن تلك الشبهة بشكل جوهريّ إذ يقول: ما هو المانع من اعتبار طول عمر الإمام المنتظر من

---

(١) غيبة النعماني، ص١٥٧.

جملة كراماته؛ إذ ليس هناك من دليل علىٰ ضرورة أن يتساوىٰ الإمام في عمره مع سائر الناس، وقد مثّل النعماني لذلك بقصّة بقاء النبيّ موسىٰ عليه السلام علىٰ قيد الحياة، والتي ذكرت في القرآن الكريم، ففي قصّة ولادة موسىٰ بذلت السلطات الفرعونية الحاكمة كلّ ما بوسعها من أجل الحيلولة دون ولادته، إلّا أنّ الله سبحانه وتعالىٰ قضىٰ ببقائه علىٰ قيد الحياة بشكل غير طبيعي، حتّىٰ جعله يترعرع في أحضان ذلك الذي كان يريد القضاء عليه، وذبح من أجل ذلك جميع المولودين حديثاً، وبعد منعطفات طويلة ذكرها الله سبحانه وتعالىٰ في القرآن الكريم حانت ساعة ظهوره التي قدّرها الله في وقتها.

يبدو أنّ النعماني قد استند في هذا التمثيل إلىٰ أمرين:

الأوّل: إنّ سنّة الله في الحفاظ علىٰ الأنبياء والأولياء لم تقم حتماً علىٰ المحافظة عليهم بالطرق الطبيعية المألوفة، بل قد تتمّ المحافظة عليهم بالطرق غير الطبيعية. ومن هنا يمكن لعمر الإمام المنتظر (عج) من أجل المحافظة عليه أن يمتدّ إلىٰ ما شاء الله.

الأمر الآخر: إنّ النبيّ موسىٰ عليه السلام كان في مستهلّ حياته وطفولته وبداية شبابه يعيش في غيبة، ومفهوم هذه الغيبة يعني: أنّ من كان حوله من الناس لم يكونوا يعرفون أنّه هو الذي ادّخره الله للانتقام من الظلمة. ويمكن أن نطرح ما يشبه هذا المعنىٰ والمفهوم بالنسبة إلىٰ غيبة إمام العصر (عج) أيضاً.

وهنا يبدو من النافع والمفيد أن نشير إلىٰ بحث بشأن رؤية المجتمع في عصر النعماني إلىٰ مسألة الغيبة ومدّتها.

رؤية الشيعة في بداية الغيبة إلىٰ مدّة غيبة الإمام (عج):

كتب بعض المحقّقين في هذا المجال يقول: في الأيّام الأولىٰ التي تمّ فيها الكلام بين الشيعة بشأن وجود الإمام وغيبته ربّما قلّ أن يكون هناك من يحتمل أنّ غيبة الإمام (عج) ستستمر إلىٰ فترة طويلة جدّاً، فقد كان الشيعة يتصوّرون أنّ الإمام (عج) سيظهر بمجرّد زوال المشاكل التي كانوا يعانون منها والأخطار المحدقة التي كانت تهدّد حياة الإمام، وأنّه سيقوم بأعباء الإمامة كما هو ديدن آبائه وأجداده الطاهرين عليهم السلام. وقد كان الاعتقاد السائد بين الشيعة أنّه (عج) سيظهر في حياة أولئك الكبار والمعمّرين من أصحاب الإمام الحسن العسكري عليه السلام من الذين شهدوا ولادته وأقرّوا بإمامته، حتّىٰ يثبتوا صحّة دعواه لمكان رؤيتهم ومعرفتهم له، وبذلك يقف الشيعة علىٰ صحّة هذه الحقائق ويركنون إلىٰ الاطمئنان بها.

ومن ثمّ تطرّق في الهامش إلىٰ عبارة ابن قبة: (مسألة في الإمامة) إذ يقول: «وأما قولهم إذا ظهر فكيف يُعلم أنّه ابن الحسن بن عليّ؟ فالجواب في ذلك أنّه قد يجوز بنقل من تجب بنقله الحجّة من أوليائه كما صحّت إمامته عندنا بنقلهم»[1].

نجد هنا حدوث سوء فهم لعبارة ابن قبة، وللأسف الشديد فإنّ الذي أدّىٰ إلىٰ سوء فهم هذه العبارة هو نقلها بشكل مبتور، وفيما يلي نذكر تتمّة كلام ابن قبة ليتّضح عدم صواب الفهم المتقدّم، فقد استطرد ابن قبة بعد الكلام السابق قائلاً:

---

(١) مكتب در فرايند تكامل (المذهب في مساره التكاملي)، ص١٢١ ـ ١٢٢.

«وجواب آخر وهو أنّه قد يجوز أن يظهر معجزاً يدلّ علىٰ ذلك، وهذا الجواب الثاني هو الذي نعتمد عليه، ونجيب الخصوم بـه، وإن كـان الأوّل صحيحاً»[١].

إنّ الإشكال الذي طُرح هنا هو حول كيفية معرفة صاحب العصر (عج) من قبل الناس عند ظهوره، وقد ذكر ابن قبة جوابين عـن هـذا الإشكـال، والإجابة الثانية التي يعتمدها في الردّ علىٰ المخالفين هو أنّ إمام العصر (عج) يمكنه أن يعرّف نفسه للناس من خلال إظهار المعجزة.

وعندما كان ابن قبة منشغلاً بتأليف كتابه كان هناك إجابة مفترضة عن الإشكال المتقدّم وهي الإجابة التي ذكرها كـجواب أوّل، وقـد اسـتند إليـها المحقّق المعاصر في غير محلّه، في حين أنّ هذا الجواب ليس دليلاً علىٰ أنّ الناس لم يكونوا يحتملون أن تطول غيبة إمام العصر (عج)، بل إنّ طرح مثل هذا الجواب هو للإجابة عن مجرّد احتمال أن لا تمتدّ غيبته لفترة طـويلة، وأنّه سيظهر في عصر أولئك الكبار والمعمّرين من أصحاب الإمـام الحسـن العسكري عليه السلام.

وبعبارة أخرىٰ: تمّ الخلط في هذا الاستدلال المذكور بين أمرين:

الأوّل: إنّ الناس في ذلك العصر كانوا يعتقدون أنّ غيبة إمام العـصر (عج) لن تمتدّ لفترة طويلة جدّاً.

الثاني: إنّ الناس في تلك الحقبة كانوا يحتملون عدم اسـتمرار غـيبة صاحب الأمر (عج) لفترة طويلة.

---

(١) المصدر أعلاه، ص١٨٦.

وإنّ الأمر الثاني ـ الذي هو أمر صحيح ، ويمكن استنتاجه من عبارة ابن قبة ـ من الوضوح بحيث لا يحتاج إلىٰ استدلال . وأمّا ادّعاء المحقّق المعاصر فيتعلّق بالأمر الأوّل الذي لا يمكن استنتاجه من عبارة ابن قبة .

وبطبيعة الحال من الواضح أنّ الجواب الأوّل لابن قبة إنّما هو جواب مرحلي ، فهو وإن كان كافياً لدفع الشبهة بالنسبة إلىٰ تلك الفترة ، ولكن لا يمكن الاستناد إليه والتعويل عليه في اقتلاع الشبهة وحسمها من الأساس ، وربّما لهذا السبب نجد ابن قبة نفسه كان يعوّل علىٰ الإجابة الثانية ويستفيد منها في مقام المناظرة مع المخالفين والخصوم[١] .

تكملة توضيح جواب النعماني عن شبهة طول عمر إمام العصر(عج) :

فيما يتعلّق بمسألة طول عمر الإمام (عج) يمكن الحصول علىٰ جوابين أيضاً من تضاعيف كلام النعماني ، وإنّ الإجابة الأولىٰ إجابة مرحلية تقتصر علىٰ عصر النعماني وما بعده بفترة قصيرة ، وحاصل هذه الإجابة : إنّ مدّة عمر الإمام (عج) يمكن أن لا تتجاوز في حدّها الأقصىٰ عمر أكبر المعمّرين في تلك الحقبة .

---

(١) لو أنّ ابن قبة كان قد اكتفىٰ في مقام ردّ تلك الشبهة بالجواب الأوّل فقط لكان هناك متّسع للقول بأنّ هذا الجواب يبدو مرحلياً ، لكن يجب علينا أن ندرك بأنّ فهم ابن قبة للغيبة والظهور لا يترك لنا المجال إلّا القول بأنّ جوابه جواب أساسي ، بيد أنّه بالالتفات إلىٰ تعدّد إجابات ابن قبة لا يمكن أن يكون هذا التصوّر صحيحاً . وعلىٰ كلّ حال فإنّنا من خلال كلام ابن قبة لا نستفيد غير اعتقاده الخاصّ ، دون الاعتقاد العام والسائد .

بيد أنّ الجواب الرئيسي للنعماني هو جوابه الثاني، وحاصله: أن لا دليل لدينا علىٰ أنّ عمر الإمام (عج) لن يتجاوز الأعمار الطبيعية، وأنّه لابدّ أن يكون مثل العمر المتعارف لسائر الناس، فلا الله سبحانه وتعالىٰ عاجز عن إطالة عمر الإمام (عج)، ولا سنّته بشأن أوليائه قائمة علىٰ اتّباع القوانين المتعارفة والطبيعية دائماً وأبداً، كما نجد ذلك بالنسبة إلىٰ قصّة النبيّ موسىٰ عليه السلام حيث نشاهد أساليب غير متعارفة فيما يتعلّق بولادته وتربيته ونشأته والمحافظة عليه.

وقد أشار النعماني في موضعٍ آخر إلىٰ تشكيك أكثر الناس في ولادة الإمام الحجّة المنتظر (عج)، وفي عمره أيضاً، مستنداً في طول زمان غيبته إلىٰ الروايات التي تتحدّث عن غيبة إمام العصر (عج) والتي تمّ التأكيد فيها علىٰ أنّه سيكون من الصعب علىٰ الناس تحمّل ذلك، فلا يؤمن به إلّا النزر اليسير من المؤمنين[١]، فإنّ هذه الروايات بنفسها تؤكّد علىٰ غرابة هذه الحادثة واختلافها عن سائر الحوادث الأخرىٰ، بحيث يمكن جعلها شاهداً علىٰ الجواب الرئيسي والأساسي للنعماني عن شبهة طول عمر الإمام الحجّة المنتظر (عج).

هذا وقد تعرّض أرباب الفرق والنحل من أمثال: النوبختي وسعد بن عبد الله إلىٰ ذكر الفرق المنحرفة التي ظهرت بعد وفاة الإمام الحسن العسكري عليه السلام بالتفصيل[٢]، ومن بين تلك المذاهب مذهب الجعفرية (أتباع

---

(١) غيبة النعماني، ص١٦٩، وانظر أيضاً: ص٢١، ٢٣، ٢٦، ٢٨، ١٨٦.

(٢) فرق الشيعة، ص١٠٥ ـ ١١٩، والمقالات والفرق، ص١٠٢ ـ ١١٦.

جعفر بن علي، المعروف بجعفر الكذّاب) حيث كان لتلك الفرق الكثير من الأتباع والمؤيّدين[١]. وقد أشار النعماني مراراً إلىٰ أنّ الغالبية العظمىٰ من الشيعة قد انحرفت عن الصراط المستقيم بعد الغيبة، ولكن ما هو مدىٰ صحّة ودقّة هذا الكلام؟ وهل تمّ أخذ جميع الحواضر الشيعية بنظر الاعتبار لإصدار مثل هذا التعميم؟ فهل تمّ أخذ مدينة قم بنظر الاعتبار مثلاً؟ أم أنّ النعماني قد اقتصر في قوله هذا علىٰ الحواضر القريبة من مدن إقامته في العراق والشام فقط؟ وهذا ما يحتاج إلىٰ مزيد من التحقيق والتأمّل[٢].

ومن المفيد هنا أن نذكر أنّ شبهات الغيبة لم تقتصر علىٰ المنحرفين عن صراط التشيّع المستقيم، بل كان هذا الأمر يُشكّل معضلة فكرية حادّة حتّىٰ بالنسبة إلىٰ الشيعة الراسخين والثابتين علىٰ تشيّعهم أيضاً، وقد أشار عليّ بن الحسين بن موسىٰ بن بابويه (م: ٣٢٨ أو ٣٢٩) في مقدّمة كتاب **الإمامة والتبصرة من الحيرة** إلىٰ هذه المسائل، وقد واجه ابنه الشيخ الصدوق هذه الحيرة لدىٰ أكثر الشيعة الذين كانوا يأتون إليه عند إقامته في نيشابور، إنّنا نرىٰ حتّىٰ عالماً متديّناً مثل: الشريف أبو سعيد محمّد بن الحسن القمّي ـ وهو من أسرة آل الصلت المعروفة بتشيّعها ـ يقع في الشكّ والحيرة بسبب كلام بعض الفلاسفة والمناطقة بشأن الإمام القائم (عج) وطول غيبته، وقد

---

(١) كمال الدين، ص٣٢٠ و٣٢١، ومصادر أخرىٰ تمّت الإشارة إليها في كتاب (مكتب در فرايند تكامل، ص١١٣ و١١٤).

(٢) لقد عبّر النوبختي عن المؤمنين بإمامة المهدي بـ: (الجمهور)، وهو ما لا ينسجم مع الكلام المتقدّم من النعماني، انظر: الفصول المختارة، ص٣١٨.

أدّىٰ ذلك إلىٰ تأليف كتاب **كمال الدين وتمام النعمة** بتوجيه من إمام العصر والزمان (عج) في عالم الرؤيا، وقد كان لتأليف كتب (**الغيبة**) دور هام في دفع هذا النوع من الشبهات وإصلاح المسار الفكري للتشيّع قطعاً.

مصير المذاهب المنحرفة بعد النعماني:

ورد في **الفصول المختارة**[1] ـ نقلاً عن الحسن بن موسىٰ النوبختي ـ التعريف مفصّلاً بأربع عشرة فرقة ظهرت بعد وفاة الإمام الحسن العسكري عليه السلام، وقد أفاد الشيخ المفيد قائلاً: «وليس من هؤلاء الفرق التي ذكرناها فرقة موجودة في زماننا هذا ـ وهو من سنة ثلاث وسبعين وثلاث مائة ـ إلّا الإمامية الاثنا عشرية القائلة بإمامة ابن الحسن المسمّىٰ باسم رسول الله (صلّىٰ الله عليه وآله وسلّم)، القاطعة علىٰ حياته وبقائه إلىٰ وقت قيامه بالسيف حسب ما شرحناه فيما تقدّم عنهم، وهم أكثر فرق الشيعة عدداً وعلماً، ومتكلّمون نظّار، وصالحون عبّاد، متفقّهة وأصحاب حديث وأدباء وشعراء، وهم وجه الإمامية ورؤساء جماعتهم والمعتمد عليهم في الديانة».

واستطرد الشيخ المفيد قائلاً: «ومن سواهم منقرضون لا يعلم أحدٌ من جملة الأربع عشرة فرقة التي قدّمنا ذكرها ظاهراً بمقاله، ولا موجوداً علىٰ هذا

---

(١) يبدو أنّ (الفصول المختارة) من تأليف السيّد المرتضىٰ، وقد جمع في هذا الكتاب فصولاً من كلام [كتاب خ. ل] الشيخ المفيد في المجالس [بمعنىٰ المناظرات علىٰ ما يبدو]، وبعض المسائل من كتابه العيون والمحاسن. (راجع: مقدّمة الكتاب وصور نسخه المخطوطة في بداية (الفصول المختارة)، طبع مؤتمر ألفيّة الشيخ المفيد)، ويحتمل قويّاً أن تكون المطالب التي نقلناها هنا مأخوذة من العيون والمحاسن.

الوصف من ديانته، وإنّما الحاصل منهم حكاية عمّن سلف، وأراجيف بوجود قوم منهم لا يثبت»[١].

إنّ الفقرة الأخيرة تشير إلىٰ إشاعات حول بعض أتباع هذه المذاهب في عصر المؤلّف، إذ يرىٰ الشيخ المفيد عدم صحّتها.

وقد أشار الشيخ المفيد في كتابه **الفصول العشرة في الغيبة** الذي ألّفه سنة (٤١٠ للهجرة) إلىٰ أنّه لم يعثر علىٰ أحد من أحفاد جعفر كان قد اختلف مع الشيعة الاثنىٰ عشرية حول مسألة إمامة ابن الإمام الحسن العسكري عليه السلام وبقائه علىٰ قيد الحياة وانتظار ظهوره، وقد دعم الشيخ الطوسي هذا الرأي في كتابه **الغيبة** الذي ألّفه في سنة (٤٤٧ للهجرة)، وقد كانت هذه الفرقة قد اندثرت تماماً ولم يعد لها من وجود في ذلك الزمان.

وقد نقل بعض المحقّقين المعاصرين ما تقدّم وأضاف إليه قائلاً: «يبدو أنّه بالإمكان الوثوق بمضمون هذا الكلام فيما يتعلّق بالحدود التقليدية لمذهب التشيّع من المدينة إلىٰ خراسان، بيد أنّ الكثير من أحفاد جعفر قد هاجروا إلىٰ المدن والحواضر البعيدة عن المناطق والبلدان الشيعية، من قبيل:

---

(١) سمعت من بعض المؤلّفين مشافهة يتحدّث عن عدم دقّة علماء الشيعة، ومثّل لذلك بعبارة المفيد. وفي مقام توضيح إشكاله أشار إلىٰ كلام السيّد الشريف الرضي (قدّس سرّه) في مقدّمة كتاب (خصائص الأئمّة، ص٣٧) حيث يصرّح بأنّ جمهور الموسوية سنة (٣٨٣ للهجرة) كانوا يقولون بالوقف، ولا يذهبون إلىٰ إمامة الأئمّة بعد الإمام الكاظم عليه السلام. بيد أنّ عبارة المفيد كما هو واضح ناظرة إلىٰ اندثار الفرق التي ظهرت بعد استشهاد الإمام العسكري عليه السلام دون أمثال فرقة الواقفية التي ظهرت قبل ذلك. وعليه فإنّ كلام هذا الكاتب هو الذي لا ينطوي علىٰ الدقّة، وليس كلام أمثال الشيخ المفيد!

مصر والهند ونظرائهما.. وأصبح بعضهم من أقطاب ومشايخ الصوفية، ومن بين تلك الطرق الصوفية التي تنتقل فيها الزعامة والمشيخة بالوراثة موجودة حاليّاً في تركيا. وقد أرجعت هذه الفرقة سلالة مشيختها في أحدث إصداراتها إلىٰ جعفر الذي يدعونه بجعفر المهدي، وقد أشار أحد المتأخّرين من مشايخهم واسمه السيّد أحمد حسام الدين (المتوفّىٰ سنة (١٣٤٣ للهجرة).. بشكل غير مباشر في مقدّمة تفسيره إلىٰ أنّه (وارث النبيّ) و(إمام العصر)»[١].

إنّ هذه العبارة تنطوي علىٰ شيء من الغموض، فالذي يبدو من ظاهرها[٢] أنّ المؤلّف يعتقد أنّ فرقة الجعفرية لم تندثر في عصر الشيخ المفيد والشيخ الطوسي، وقد استند في إثبات ذلك إلىٰ استمرار بقاء سلسلة طريقة أبناء جعفر إلىٰ العصر الراهن في تركيا، إلّا أنّ بقاء سلسلة الطريقة لا يتنافىٰ مع اندثار الجعفرية في عصر الشيخ المفيد والشيخ الطوسي؛ لأنّ المراد من اندثار الجعفرية يعني القول بإمامة شريعتهم، دون مشيخة طريقتهم، كما هو الحال بالنسبة إلىٰ معروف الكرخي الذي تنتهي إليه سلاسل الكثير من طرق الصوفية.

---

(١) مكتب در فرايند تكامل، ص١١٨ ـ ١٢١.

(٢) هناك احتمال مخالفة الظاهر في عبارة هذا الكتاب، إذ بالالتفات إلىٰ انتشار وتفرّق أبناء جعفر في البلدان القصية والبعيدة لا يمكن التسليم بصحّة اندثار الجعفرية؛ إذ يحتمل أن يكون بعض أولاد جعفر الذين بقوا علىٰ هذا المذهب كانوا يعيشون في المدن النائية والبعيدة عن الحواضر الشيعية؛ وعليه فاحتمال عدم الاندثار هو الأقرب دون ادّعاء عدم الاندثار، وهذا الاحتمال علىٰ خلاف الظاهر؛ إذ أنّ بيان مثل هذا الاحتمال يحتاج إلىٰ ذكر بعض المسائل المتقدمة والتي نحن في غنىٰ عن ذكرها هنا.

وبطبيعة الحال فإنّ كون هذه السلسلة الصوفية تقوم علىٰ الوراثة وانتقال المشيخة من الآباء والأجداد إلىٰ الأبناء في ذلك الزمان بحاجة إلىٰ إثبات، ولا يكفي في إثبات ذلك مجرّد بقاء هذه السلسلة علىٰ الطريقة الراهنة في الوقت الحاضر.

إن كان مراد السيّد حسام الدين من التعبيرين المذكورين وهما: (وارث النبيّ) و(إمام العصر) في الشريعة، ولو افترضنا أنّه يدّعي الإمامة في الشريعة عن طريق التوارث وانتقال المرجعية من الآباء إلىٰ الأبناء، وأنّ هذه المرجعية قد انتقلت إليه من آبائه، فإنّ مجرّد هذا الادّعاء لا يصحّ دليلاً علىٰ أنّ آباءه كانوا يدّعون الإمامة حقيقة، أو أنّهم كانوا يعتقدون بإمامة جعفر، بل من المحتمل أن يكون شخص من أولاد جعفر قام بهذه الدعوىٰ بعد سنين من اندثار الجعفرية ونسبها إلىٰ أجداده أيضاً، وعليه لا دليل علىٰ عدم صحّة كلام الشيخ المفيد والشيخ الطوسي بشأن اندثار الجعفرية في عصرهما.

وفيما يلي نعود إلىٰ مواصلة الكلام بشأن سيرة أبي عبد الله النعماني.

لقب النعماني:

يشير صاحب كتاب **روضات الجنّات** في ترجمة النعماني إلىٰ أنّ لقب النعماني منسوب إلىٰ النعمانية، وهي مدينة بين واسط وبغداد، ويَحتمل بعيداً نسبته إلىٰ قرية في مصر معروفة بهذا الاسم، وقد أضاف: إنّ هذا اللقب لا ينتسب إلىٰ النعمانية ـ بفتح النون ـ والتي هي مدينة صغيرة بين حماة وحلب، أو إلىٰ النعمان ـ بالفتح ـ والذي هو اسم وادٍ في طريق الطائف، أو إلىٰ

النُعمان الذي تَسمّىٰ به بعض المشاهير[١].

يمكن إرجاع عدم نسبة هذا اللقب إلىٰ النَعمانية والنَعمان ـ بفتح النون ـ إلىٰ اختلاف تلفّظ هذين الاسمين واسم ألنعماني ـ بضمّ النون ـ ولكن ما هو سبب عدم نسبته إلىٰ النُعمان؟ هذا ليس واضحاً[٢]. ومن ناحية أخرىٰ لم يتّضح سبب احتمال صاحب **روضات الجنّات** أن يكون هذا اللقب نسبةً إلىٰ قرية في مصر رغم بُعده، في حين يُصرّح بإنكار أن يكون منسوباً إلىٰ النُعمان.

وقد ذهب السمعاني في **أنسابه** علىٰ هامش مدخل (النعماني) إلىٰ القول بنسبته إلىٰ النعمانية ـ مدينة بين بغداد وواسط علىٰ ضفاف نهر دجلة ـ ثمّ ذكر أسماء عدد من المحدّثين الملقّبين بهذا اللقب[٣] من أمثال: أبي جعفر محمّد بن سليمان الباهلي النعماني (المتوفّىٰ سنة ٣٢٢ للهجرة) في النعمانية، وهو قريب في المعاصرة للنعماني صاحب **الغيبة**.

وقد جاء في كتاب **تاريخ بغداد** في ترجمة أبي يعقوب إسحاق بن إبراهيم النعماني أنّ تأريخ وفاته كان في سنة (٣٤٥ للهجرة)، وبذلك يكون معاصراً تماماً للشيخ النعماني صاحب كتاب **الغيبة** الذي كان حيّاً في شهر ذي الحجّة من سنة (٣٤٢ للهجرة)[٤].

---

(١) روضات الجنّات، ج٦، ص١٢٧.

(٢) ويجب الالتفات إلىٰ كلام ياقوت الذي يذكره بعد ذلك من أنّ النعمانية نفسها منسوبة إلىٰ شخص يدعىٰ النُعمان.

(٣) أنساب السمعاني، ج٥، ص٥٠٩، واللباب في تهذيب الأنساب، ج٣، ص٣١٧.

(٤) تاريخ بغداد ج٦، ص٣٩٩.

كما يعتبر أبو الحسن علي بن ثابت بن أحمد بن إسماعيل النعماني الذي يروي عنه أبو الحسن الدارقطني (المتوفّىٰ سنة ٣٤٥ للهجرة)، من طبقة النعماني صاحب **الغيبة** أيضاً.

وقال ياقوت الحموي في هامش مدخل (النعمانية) ـ بعد ضبطها بضم النون ـ في كتاب **معجم البلدان**: «كأنّها منسوبة إلىٰ رجل اسمه النُعْمان؛ بُليدة بين واسط وبغداد في نصف الطريق علىٰ ضفّة دجلة... وأهلها شيعة غالية كلّهم ... وقد نسب إليها قوم من أهل الأدب في كتاب ابن طاهر»[١].

ويمكن لنا ـ بالنظر إلىٰ مذهب سكّان هذه المدينة ـ أن ننسب النعماني صاحب **الغيبة** إلىٰ هذه المدينة أيضاً. ولكن لم يتّضح لنا من هو القائل بنسبة سكّان هذه المدينة إلىٰ الغلوّ في التشيّع؟ وربّما تسرّبت هذه العبارة إلىٰ **معجم البلدان** من كتاب ابن طاهر، والمراد من ابن طاهر علىٰ ما يبدو هو أبو الفضل محمّد بن طاهر المقدسي (المتوفّىٰ سنة ٥٠٧ للهجرة)، والذي ألّف كتاباً بعنوان **المؤتلف والمختلف**، وقد طبع هذا الكتاب في لندن سنة (١٨٩٠ للميلاد) علىٰ يد المستشرق (دي بونك) تحت عنوان **الأنساب المتّفقة في النقط والضبط**[٢].

ومهما يكن فليس من الواضح اعتبار النعمانية في عصر النعماني صاحب **الغيبة** ـ في أواسط القرن الرابع ـ مركزاً للتشيّع الغالي ـ علىٰ حدّ تعبير

---

(١) معجم البلدان، ج٥، ص٣٣٩ ـ ٣٤٠.

(٢) مقدّمة المؤتلف والمختلف، تحقيق: د. موفّق بن عبد الله بن عبد القادر، ج١، ص٧٤.

الرجاليّين من أهل السنّة ـ، بل الذي نحتمله أنّ النعمانية لم تشهد انتشار التشيّع إلّا بعد سنوات من تلك الحقبة.

وإنّ المحدّثين الملقّبين بالنعماني من المعاصرين لصاحب **الغيبة** ـ من الذين تمّت الإشارة لهم في العبارة المنقولة عن أنساب السمعاني ـ هم على ما يبدو من أهل السنّة بأجمعهم.

وهناك الكثير من الذين ينتسبون إلى لقب النعماني في كتبنا الروائية، من أمثال: أحمد بن داوود النعماني، مؤلّف كتاب **دفع الهموم والأحزان وقمع الغموم والأشجان**[١] ـ والذي لا نملك معلومات كثيرة حوله ـ، وعليّ بن الحسن بن صالح بن الوضّاح النعماني الذي يروي عن أبي عبد الله بن إبراهيم ابن أبي رافع وعن الخطّاب وأبي عبد الله محمّد بن إبراهيم النعماني[٢].

وقد نقل الكفعمي في **المصباح** أمراً عن النعماني في **نهج السداد**[٣]، والمقصود من هذا الشخص هو عبد الواحد بن الصفيّ النعماني، وكتابه **شرح**

---

(١) مهج الدعوات، ص١٠٣ ـ ٣٠٤، مصباح الكفعمي، ص٢٠٥ ـ ٢٩٦، الأمان من أخطار الأسفار، ص١٢٦، المجتنى، ص١، وانظر أيضاً: مكتبة ابن طاووس، ص٢٢٦، الذريعة إلى تصانيف الشيعة، ج٨، ص٢٣٣، وج١١، ص٢٤٥ على هامش عنوان (الرفع) المشار إليه في هذا الكتاب، وقد رأى أنّ كلمة الرفع (بالراء) تصحيفاً عن الدفع (بالدال).

(٢) بحار الأنوار، ج٩٠، ص١٢٣، نقلاً عن كتاب مجموع الدعوات لمحمّد بن هارون التلعكبري.

(٣) مصباح الكفعمي، ص٣٤٣.

رسالة واجب الاعتقاد للعلّامة الحلّي[١]، وقال صاحب **الرياض** [ما معناه]: «أظنّ أنّه من أحفاد النعماني صاحب **الغيبة**»، ولكن لم يتّضح لنا منشأ هذا الظنّ، ومجرّد لقب النعماني لا يمكنه تبرير مثل هذا الظنّ.

روىٰ البيّاضي في **الصراط المستقيم** عن **كتاب القاضي النعماني**: «لو لم يكن هذا الاسم تصحيفاً عن القاضي النعماني[٢]، قد يكون المراد منه علي نجل القاضي نعمان المصري، مؤلّف **دعائم الإسلام**، الذي تولّىٰ منصب القضاء ـ مثل أبيه ـ عن الخلافة الفاطمية»[٣].

وللبحث صلة...

---

(١) راجع: الذريعة إلىٰ تصانيف الشيعة، ج١٤، ص١٦٣، ج٢٤، ص٤١٨، وقد عبّر عن هذا الكتاب أحياناً بـ: (تحصيل السداد)، الذريعة، الموضع نفسه، كشف الظنون، ج١، ص٣٤٣.

(٢) ورد في مناقب ابن شهر آشوب، ج٢، ص٣٦٤ عبارة عن القاضي النعمان موجودة بنفسها في بحار الأنوار، ج٤٠، ص١٠/٢٣٠، وفي ج٧٩، ص٢٤/٧٢ بلفظ القاضي النعماني.

(٣) الصراط المستقيم، ج١، ص٣.